إدوارد سعيد والثقافة العربية «ما بين عالمين»

الحلقة الرابعة

هشام علي

تتحدد أوجه الاختلاف في تجربة ادوارد سعيد في عدة مسائل فهو ليس مثقفا نهضوياً بمعنى اننا لا نستطيع ان ندرجه ضمن تيار النهضة الفكرية العربية التي عاشت لحظة الصدمة بالثقافة الغربية وعانت أزمة الهوية وكان الوجود الاستعماري عاملاً مضاعفاً لتعقيد التحدي الغربي والدعوة لتقليد الغرب كسبيل للنهوض. كما ان الفارق بين زمن النهضة في نهاية القرن التاسع عشر و زمن ادوارد سعيد في العقود الثلاث الأخيرة من القرن العشرين يحمل اختلافاً كبيراً، ربما ان أسئلة الغرب في الثقافة العربية لم تتغير كثيراً لكن ثقافة الغرب تغيرت ودخلت في شبكة هائلة من التداخل مع ثقافات العالم مع احتفاظها بمبدأ المركز والهامش والحق في الهيمنة، بالإضافة إلى العولمة وتجلياتها الثقافية المتعددة.

ومن ناحية أخرى لم تكن تجربة ادوارد سعيد في الولايات المتحدة رحلة أوهجرة مثقف عربي، بل كانت تجربة حياة كاملة عاشها كمواطن أمريكي واستطاع ان يصل إلى أعلى مكانة علمية وثقافية وهنا يظهر الاختلاف في حالة ادوارد سعيد أو المفارقة في عودته إلى المكان واختياره للثقافة. يقول ادوارد سعيد في مقدمة كتابه (خارج المكان) :(ان الجديد في ادوارد سعيد المركّب الذي يظهر في هذه الصفحات. هو عربي أدت ثقافته الغربية وبالسخرية الامر إلى توكيد أصوله العربية. وان تلك الثقافة إذ تلقي ظلال الشك على الفكرة القائلة بالهوية الأحادية تفتح الأفاق الرحبة امام الحوار بين الثقافات».

ان ادوارد سعيد مثقف عربي -غربي وهو وارث أصيل للتفاعل الصعب بين العالم العربي والغربي. هذا التفاعل الذي تمتد جذوره إلى مراحل سابقة للإسلام، لكن جذوره الحداثية ترتبط بحملة نابليون على مصر 1798م. التي هزت سكون الشرق وأيقظت عوامل النهضة في الثقافة العربية. ويعتبر ادوارد سعيد نتاجا لهذه النهضة رغم الانقطاع الذي عاشه عن الثقافة واللغة العربية، وانقطاعه كذلك عن العالم العربي لعقود من الزمان تحول فيها إلى قطعة من تاريخ وجغرافية زرعت خارج مكانها إلاّ ان روح الشرق ظلت كامنة في داخله فارتباطه بالمكان كان عميقا وهنا تبرز أهمية المكان في فكر ادوارد سعيد كما سنلاحظ وهذا هو سر إعجابه بالمفكر الايطالي انطونيو غرامشي الذي يعبر عن هذه العلاقة التاريخية بالمكان. التي تترك اثارا عميقة في النفس البشرية.

يقول غرامشي في دفاتر السجن:ان نقطة انطلاق الاتقان النقدي المحكم في وعي المرء لما هو حقا وهو اعرف نفسك كنتاج للعملية التاريخية حتى اللحظة الحاضرة التي أودعت فيك آثارا لا حصر لها دون ان تترك جردا بها.

هكذا نلاحظ اننا بحاجة إلى مدخل آخر مختلف لدراسة حالة ادوارد سعيد العائد إلى الشرق. فهو ليس عصفوراً من الشرق...يرحل في مواسم الهجرة إلى الشمال حالته الثقافية لا تشبه الطهطاوي ومحمد عبده وهي تختلف كذلك عن طه حسين وغيره من المثقفين العرب الذين رحلوا إلى اوروبا واقتبسوا شيئا من أنوارها، وعادوا إلى أوطانهم حاملين أسئلة الذات والآخر،الشرق، والغرب، التراث والحداثة.وأسسوا لنهضة فكرية لم تتمكن من اكتمال مسارها امام قوة الأصولية الفكرية وامام التذبذب السياسي والفكري الذي أراد الإمساك براية التغيير من الوسط وكانت النتيجة انكسار التنوير وتعثر النهضة الأولى والثانية. أما الحداثة العربية فقدت ولدت حامله معها ركاماً من أثقال التأخر، ولم تكن تعي من فكر الحداثة وفلسفتها سوى ان ترمي بالتراث واللغة وتقاليد الكتابة العربية من اقرب نافذة «لتنطلق في عجمة اللغة والكتابة والهوية الضائعة بسبب التقليد للغرب وادبه وفنونه، كذلك لا ينتمي ادوارد سعيد إلى ثقافة المهجر وأدبه رغم اجتماعه في الأمريكيتين فالخطاب النقدي الذي حمله ادوارد سعيد يختلف عن الادب الرومانتيكي الذي حمله جبران وابو شادي وميخائيل نعيمة وتحليله الفكري لعلاقة الشرق والغرب تختلف عن أطروحة أمين الريحاني في «كتاب خالد» الذي نظر إلى هذه العلاقة على اساس روحانية الشرق ومادية الغرب أو التفاعل الحضاري بين الشرق والغرب. ادوارد سعيد يرفض هذه الثنائية فالشرق هو صناعة غربية او انه نتاج لكتابات المستشرقين وكيان خارج من أرشيفهم ودفاتر رحلاتهم.

ونحن نميل إلى مقاربة ادوارد سعيد من منظور مختلف فهو لم يكن مثقفا عربيا يرحل أو يهاجر إلى الغرب، بل ان مساره معاكس، انه مثقف غربي بأصول عربية يعود إلى الشرق ويعيد اكتشاف الجغرافيا والتاريخ وتعلم الثقافة واللغة. وربما يكون من الأفضل ان نقول ان ادوارد سعيد مثقف كوني جمع في فكره الشرق والغرب ورفض أي تمايز بينهما على أساس الجغرافية أو الجنس والسلالات وهو في مساره أو تحوله في اتجاه الشرق الأوسط وفلسطين على وجه خاص حيث ولادته في القدس، ومصر حيث عاش سنوات من عمره هناك وحمل ملامح هويته العربية من مدينة القاهرة التي يتحدث دائما انه يحسن الانتماء اليها، رغم ان حياته فيها انحصرت بين المنزل وكلية فيكتوريا الانجليزية لكن ادوارد سعيد لا ينسى ان أول صدمة لهويته العربية كانت هناك حين منعه حارس نادي الجزية من الدخول إلى النادي قائلاً له أنت عربي..ممنوع دخول العرب.

حمل ادوارد سعيد معه هذا الإحساس بالهوية، رغم الجنسية الأمريكية التي يحملها ورغم الثقافة الانكليزية التي تعلمها وأجادها وأصبح متفوقاً على أبنائها.وكانت صدمته الثانية في المدرسة الأمريكية التي التحق بها وفشل في ان يحصل على صديق يتكلم معه بالعربية، وحين حاز على الدرجة الأعلى بين زملائه لم تسمح له ادارة المدرسة بان يلقي كلمة المتفوقين في نهاية العام لانه غريب! لم تستطع فلسفة التنوع الثقافي التي عُرفت بها أمريكا ان تستوعب فكر ادوارد سعيد الشاب الذي رضخ لشروط الحياة الأمريكية وتخلى طوعاً أو كرهاً عن لغته وثقافته وخاض معركة اقتحام امريكا ولكن ليس على طريقة مصطفى سعيد بطل رواية الطيب صالح «موسم الهجرة إلى الشمال» الذي أعلن في ساحة المحكمة في لندن حين سأله القاضي عن الأسباب التي دفعته لقتل عدد من الفتيات اللاتي أحبهن: «وجئتكم غازيا» هكذا صرح مصطفى سعيد الذي كان عبقرياً في دراسته الجامعية ووصل إلى أعلى المراكز العلمية في انجلترا. لكن ذكرى الاستعمار البريطاني للسودان كانت تنغرس عميقاً في ذهنه،ولذلك خاض معارك الانتقام من الفتيات الشقراوات في غرفة نوم التي ملأها برائحة البخور والصندل وبقطع خشبية من غابات أفريقيا وناب أفيالها وأقنعة قبائلها وكانت تلك العلاقة تنتهي بجريمة قتل بشعة. وانتهى الحال بذلك البروفسور الاسود في مصح للامراض العقلية في لندن.

البروفسور العربي الفلسطيني استطاع ان يغزو أمريكا، بما امتلك من معرفة وثقافة ربما انتج من ثقافة تجاوزت في أبعادها التراث الثقافي الهائل لجامعة كولومبيا وتعدّت حدود أمريكا كلها وثقافات أوروبا أيضاً. وهذا الوضع يدفعنا للتعامل مع ادوارد سعيد كمثقف كوني. ومن هنا اختلاف حالته عن المثقف النهضوي العربي وعن المثقف المهجري الرومانتيكي. فادوارد سعيد العائد إلى الأرض العربية كان مثقفاً عالمياً أثر بحضوره وفكره داخل المشهد الثقافي الغربي وأصبح واحدا من ابرز اعلام مفكري ما بعد الحداثة في الغرب بل انه فتح قارة جديدة للفكر وذلك إثر تأليف كتابه الشهير الاستشراق وكتاب «الثقافة الامبريالية» حيث تحددت ملامح النقد ما بعد الكولونيالي وثقافة المقاومة والتحرر والقبول بالاختلاف والتنوع.

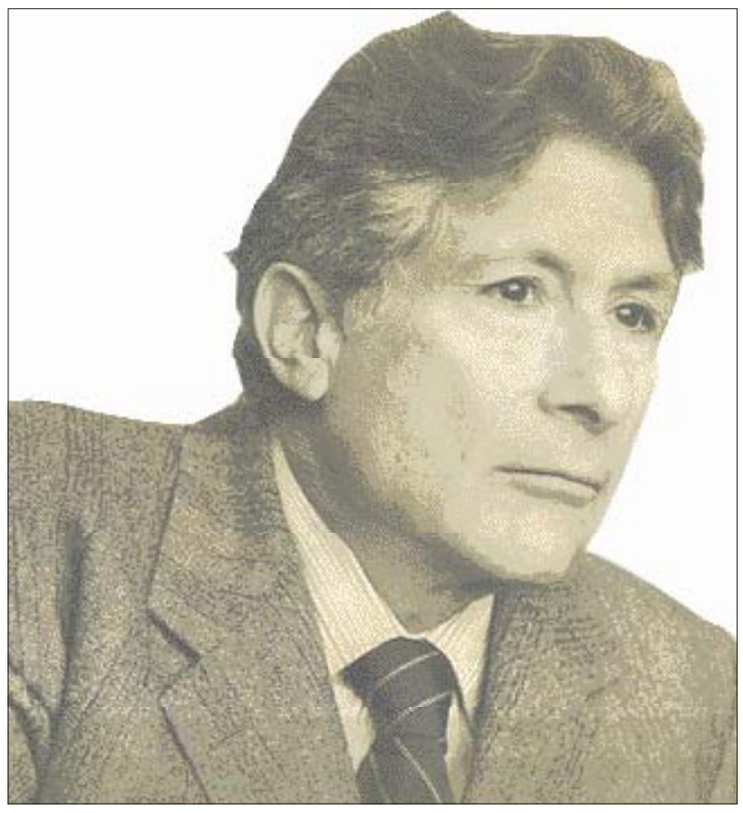

• إدوارد سعيد

ومن أجل تحديد تفاصيل مفهوم المثقف الكوني الذي نسعى لبلورته ونحن بصدد فكر ادوارد سعيد نستعرض ما كتبه الباحث أولف هانرز في مقالته «العالميون والمحليون في الثقافة العالمية» وذلك ضمن كتاب ثقافة العولمة.

يرى هانرز ان العالمية مفهوم يتضمن موقفاً من التنوع ومن تعايش الثقافات في التجربة الفردية والنزعة العالمية هي توجه ورغبة في مشاركة الآخر. انها موقف جماعي يؤمن بالانفتاح على مختلف التجارب الثقافية. وهي بحث عن الاختلاف لا عن التجانس، والمثقف العالمي لا يميز بين العناصر الخاصة بالثقافة الاجنبية حتى يسمح لبعض منها بالنفاذ الى مخزون ويرفض بعضاً آخر؛ وهو لا يتعارض مع الثقافة الأخرى بل يتقبلها كصفقة متكاملة. ويضيف هانرز «قد يعتنق العالمي الثقافة الأجنبية لكنه لا يؤدي إلى التزامه بها. فهو يعرف دائما باب الخروج منها والمنفى ليس عالمياً في الغالب فهو يتنقل بصورة مباشرة، كما ان اندماجه في ثقافة ما بعيدا عن وطنه الأصلي شيء فرض عليه فرضاً والحياة في بلد آخر هي على أحسن الفروض وطن مضافاً إليه الحرية، وهو في الغالب ليس وطناً أصلاً فتحاصره الثقافة الأجنبية ولكنه غالبا لا ينغمس فيها وقد يكتسب كفاءة إلاّ انه لن يتمتع بها فالمنفى كما يقول ادوارد سعيد جرح لا يندمل أو حالة متقطعة من الوجود.

والاندماج في ثقافة أخرى غالباً ما لا يتضمن فائدة إضافية بل غرم ضروري ينبغي الحد منه بقدر الإمكان.

ان رؤية المثقف العالمي قد لا تتألف إلاّ من تجارب، من ثقافات مختلفة كما تشتمل سيرته على فترات من الإقامة في أماكن مختلفة. ولكنه قد يندمج في ثقافة واحدة وربما في أكثر من ثقافة من النوع الذي ينتقل عبر شبكة عابرة للقوميات. وما يجمع بين المثقفين العالميين هو ثقافة لغة الخطاب النقدي ، فما يحملونه معهم إلى المجتمع المحلي ليس مجرد معارف خاصة، بل يأتون بموقف كلي من بين المعنى التي تشير إليها فكرة ثقافة لغة الخطاب النقدي.

نلاحظ ان ما ورد في مقال هانرز عن المثقف العالمي وصفاته يلتقي في كثير من المواقف مع شخصية ادوارد سعيد كمثقف كوني أو عالمي ولكن مع استثناء مهم فادوارد سعيد رغم اندماجه في الثقافة الغربية التي تلقاها منذ صباه وأصبح أحد أساتذتها النابغين إلاّ ان شعوره بالانتماء للثقافة العربية ظل محفوراً في ذاكرته، ليس كشكل من أشكال الحنين إلى الماضي أو الوطن بل كشجرة انساب وعلاقة اتصال وتواصل تمتد وتتأصل.

وكما عاد ادوارد سعيد في أعقاب حرب 1967م إلى فلسطين ليؤكد انتماءه إلى الوطن وتمسكه بثقافة المقاومة التي ولدت في فلسطين والبلدان العربية المجاورة لها، أحس ادوارد سعيد بأنه قد حرم من دراسة الثقافة العربية خلال دراسته الجامعية والتكوينية، ولذلك كان أول ما فكر به في أعقاب عودته إلى الوطن كانتماء وثقافة ومقاومة رغم بقائه في نيويورك كأستاذ جامعي ان يدرّس اللغة العربية والتراث العربي. وفي عام 1972م استغل ادوارد سعيد إجازة أكاديمية لمدة عام قضاها في بيروت وهناك التحق بالجامعة الأمريكية ليدرس التراث واللغة على يد أساتذة كبار مثل إحسان عباس وقسطنطين زريق وانيس فريحة، ويتحدث الياس خوري عن ادوارد سعيد الذي عاد من بيروت إلى أمريكا بهويتين واسمين مثلما ولد، ومثلما وعن طفولته في القدس والقاهرة وعن معنى النكبة الذي صاغه قسطنطين زريق باسم جيل النهضة الثانية وتحول عنده إلى سؤال كوني. ويرى الياس خوري ان ادوارد سعيد الشاب ولد مرتين، الأولى في القدس عام 1935 والثانية في نيويورك وبيروت عام 1967م.

وبين ولادتين تنقل ادوارد سعيد بين المدن والثقافات وبحث عن البدايات. (ومن دون ان يدري لخص سعيد مسار النهضتين الأولى والثانية في الثقافة العربية.كان نيويوركيا مثل جماعة الرابطة العلمية ومصريا مثل المثقفين العرب الذين عاشوا في القاهرة وبيروتيا مثل عدد كبير من المثقفين العرب والفلسطينيين الذين أقاموا في بيروت الستينيات والسبعينيات).

ويضيف الياس خوري (بين ولادتين وبعدهما وما ينتج منهما من فكر وأدب وفن وسياسة بنى ادوارد سعيد نموذجاً للمثقف العربي والمثقف الكوني. لم يكن مهاجراً يقتله الحنين لكنه لم يكن يبحث عن استكانة للعودة. عاد إلى فلسطين والعرب كي يكون شاهداً روائياً، لم يكتب الانجليزية كي ينتمي، بل كتب مثل كونراد من أجل ان يخلخل ويكتشف ويكشف. لم يرجع إلى فلسطين بحثا عن الجذور بل عاد من اجل ان ينظر إلى المستقبل، ويضع فلسطين في خريطة الألم الإنساني. انه مشروع بداية، والبداية مثلما قال في كتابه (بدايات) لا تكتشف ولا يعثر عليها بل تصنع.هذا سره ومساره..رجل يصنع البدايات بالوعي، يقلب المفاهيم من أجل معرفة أكثر، ويخوض مغامرة البحث عن الجديد، من أجل ان يؤسس رؤية تتميز بعلمانيتها ودنيويتها من جهة، وطاقتها الروحية والعقلية من جهة ثانية)

في هذه المرحلة من مسار ادوارد سعيد المرحلة التي درس فيها الثقافة العربية وتعرف فيها على المجتمعات والشعوب والسياسات في المنطقة العربية أدرك الشرق برؤية تختلف عن تلك التي تضمنتها كتابات الغربيين عن الرحالة والمستشرقين وفي هذا العام 1972م كتب ادوارد سعيد مقالة بعنوان (التمنع والتجنب والتعرف) حلل فيها أزمة الأمة العربية وأزمة الهوية العربية وصاغ فيها عدداً من الأفكار التي أصبحت نواه لما كتبه لاحقا في كتابه الهام الاستشراف كانت هذه المقال أول مقال ينشر بالعربية لادوارد سعيد وقد قامت بنشها مجلة مواقف دون ان تذكر اسم مترجمها إلى العربية

ان قراءة متعمقة لهذه المقالة يمكن ان تبين لنا أنها تضمنت عددا من الأفكار الأولى التي أصبحت المادة الأساسية لكتاب الاستشراق أو لنقل ان هذه المقالة شملت فكراً مؤسساً لموضوع الاستشراق حيث جرت بلورته وتفصيله على نحو أكثر اتساعا وعمقا وينبغي ان نشير إلى فكر الاختلاف الذي حمله ادوارد سعيد الأكاديمي الأمريكي والمثقف العربي العائد إلى الشرق وعلى خلاف صدمة الغرب التي واجهت المثقفين العرب منذ حملة نابليون على مصر وما تلاه من رحلات المثقفين العرب إلى أوروبا وما عبروا عنه في كتاباتهم التي شكلت تراث النهضة والحداثة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

كان ادوارد سعيد مشبعا بالثقافة الغربية التي نشأ وتكون على أساسها كما كان واحدا من رواد فكر ما بعد الحداثة، وحين عاد إلى الشرق الأوسط في 1967 أصيب بصدمة الشرق إذ جاز القول وتعرف على واقع الثقافة العربية التي كانت تعيش في مرحلة ما قبل الحداثة رغم مظاهر الحداثة البادية على سطحها وقشرتها، ونستطيع ان نكتشف هذا الأمر في مقال ادوارد سعيد الذي افتتحه بالحديث عن الواقع العربي المريض وعن الهوية العربية المتشظية وفي هذا المقال يثير ادوارد سعيد قضية مهمة وهي عجز العرب عن تحديد ذاتهم ومعرفة ترائهم وعجز المثقفين العرب عن انجاز مشروع عربي نهضوي بديل،لا ينشأ على تقاليد الغرب، بل يستلهمه ويحاوره في سياق بحثه عن المنابع الوطنية الأصيلة وفي إطار الوعي بمشكلة الاستعمار والهيمنة التي يمارسها الغرب على الفكر وعلى المجتمع، ولا ينكر ادوارد سعيد على المثقفين العرب وعيهم بالمشكلة ولكنه يبين تجنبهم الخوض في معرفة الذات العاجزة وتمنعهم عن تقديم البديل وهذا هو المقصود بعنوان المقال ،التمعن أو التجنب الذي يحول دون ظهور المعرفة البديلة لتجارب النهضة الهشة والحداثة المعلقة

وفي تحليله للعلاقة غير المتكافئة بين الشرق والغرب ودراسته للهوية الثقافية العربية التي تعبر عن الطابع الصراعي في استجابتها لتحديات الغرب، يذكر ادوارد سعيد ان كل مجتمع إنساني يحدد نفسه على نحوين:

أولاً:عن طريق تحديد الفارق بينه وبين غيره من المجتمعات

ثانيا:عن طريق تحديد ميزاته الخاصة

والمجتمع يكون نفسه تبعا لفعلين أساسين من افعال ادراك الذات :الأول موجه خارجي أو موجّه من الخارج والثاني داخلي أو موجّه من الداخل ومن جدل هذين الفعلين الضاغطين تتشكل الهوية بقليل أو كثير من التماسك ويذكر ادوارد سعيد ان أجيالاً عدة من المؤرخين العرب قد وصفت تاريخ العرب الحديث بطرق تتوافق مع منهجية تحديد الذات المشار إليها سابقا. ويبدأ عصر النهضة في نظر معظم المؤرخين الحديثين مع حملة نابليون. هذا يعني النظر إلى التاريخ العربي على انه سلسلة من الاصطدامات مع الغرب بأشكال مختلفة، سياسية واقتصادية وثقافية. وبتعبير مجرد كان هذا الصدام الطويل الأمد مجابهه بين الذهن العربي والذهن الغربي. ويؤكد ادوارد سعيد ان الذهن العربي الحديث تكوّن بصورة جماعية من خلال هذه المجابهة بين العرب والغرب « وبالتأكيد كانت هناك ثقافة تقليدية، محلية غير ان معظم المؤرخين يتفقون على ان الذهن العربي أحس بان الغرب يدفعه إلى محاكاته أو ان شئت، إلى ان يرد على الغرب طبقاً لتحدياته. وهكذا نجد العرب المعاصرين مزيجاً من المؤثرات التقليدية والغربية.

تلويحات

محمد القعود

1
..! في المرة الحالمة لن أتردد في تفجير شوقي
عـلى جميـع العصافـير أحـترام رغبتـي في التغريد الحر البعيد عن ايقاع الملل
2
أطالـب الأمم المتحدة بتقريـر حق قبلتي في المصير وفي التعبير عن أرائها
3
الاغنيـة تنتظـر أناملهـا لتشعـر بالمواطنة المتساوية
4
ربما أهـرب من نفسي لكـن طفولتي تعترض طريقي وتطالبني بتناول بسمة الشجاعة
5
متى تتحول الرصاصة الى قلم حبر ..؟؟
6
سيمـر صمتـي .. ممنـوع اللمس..سيمـر أمسي،
ممنوع الهمس
7
الحكمة تناوش حيادي بالانحياز الى مفترق نهديها
8
ربمـا أعتزل حرفة الانتظـار ان تعلم صمتي العندلة
9
أشعـر برفة نهد يسحـب ذهولي الى مصباته السحيقة
10
أحتاج إلى ندوة دولية اناقش فيها أشواقي
11
ايها المريض بشوقي ..حنيني عافيتك
12
أنا أشبهني في حالات التمرد على الرتابة
13
الابـواب مفتوحـة عـلى طفولتهـا ..تنتظـر هطـول المطـر لتتبلـل بالحنـين الى حقولها وغاباتها البعيدة ..
14
اسمي غير قابل للصرف عند بائع الصبر
15
عـلى اي جرح ستسنـد ظلك ,المـدى كسير الخطى والبلاد تبكي صبحها, والناي يذرف شجونه بالتقسيط المريح .
16
كان هناك مايشبه الوطن ..
مايشبه القصيدة ..مايشبه أول الحب ,,
لمـاذا غـاب الجميـع ,,وحـضرت تضاريـس القبيلة ..!!
17
من كل جرح سيتدفـق نهر حياة وفجر حلم جديد

إصدارات

ثورة المعلوماتية والمعرفة

عرفت الإنسانية، في مسارها الطويل، منعطفات جوهرية عديدة، غيّرت من حياة البشر ونقلتهم إلى حقب أخرى من المعرفة. ويرى علماء اللغات أن اختراع الكتابة، ثم اختراع المطبعة، كانا بمثابة المدخل إلى ثورات جديدة. ويضيف الباحث الإيطالي المتخصص في علم اللغات، والأستاذ في جامعة روما، رفاييل سيمون، منعطفاً جوهرياً آخر في حياة البشر، هو: الثورة الرقمية التي تمثل الثورة الثالثة، بعد تلك التي أعقبت اختراع الكتابة ثم المطبعة.

وفي كتابه الأخير، "مأخوذ بالانترنت" يحاول رافاييل سيمون، شرح آثار ثورة المعلوماتية على آليات اكتساب المعرفة، وعلى الروابط الاجتماعية. ولا يتردد في القول: إن هذه الثورة الجديدة لها آثار لا سابق لها، خاصة من خلال "خلق دائرة تواصل وإعلام"، أرغمت الجميع على الولوج والتعامل معها. إذ إن "الانترنت" أصبحت بمثابة "الماء والهواء".

ويحدد المؤلف أحد الآثار الكبرى للثورة الرقمية، في كونها أعطت الأولوية للصورة وللشاشة. وأدرجت بذلك، آلية توليفية، تجميعية وسلبية للفكر، على عكس المكتسب الكبير الذي كانت الإنسانية قد حققته عبر الكتابة، من خلال تنشيط العقل التحليلي والتأملي. أما الثقافة الرقمية، فإنها تميل إلى أن تستبدل الواقع بنوع من الاستعراض المستمر والعالم الافتراضي.

ويقدم المؤلف في مثل هذا النهج، تحليله لما يسميه: "الثورة التي لا تكوص عنها، إلى الأنماط المستجدّة في التجربة الإنسانية". وهذه الأنماط تتأرجح، حسب رأيه، بين ما هو حقيقي، وما هو مزيّف، وما هو مموّه. ويختلط فيها النمطان السلبيان، كما جاء في أحد عناوين محاور الكتاب.

ويسأل المؤلف: هل يجعل الانترنت والأدوات الرقمية، البشر أكثر سعادة وفعالية، أو بالأحرى، أقل ذكاء؟ وما يؤكده المؤلف، أن الرجال والنساء اليوم، مأخوذون بالانترنت، وغيره من ثمرات الثورة الرقمية. ويتعرضون إلى نوع الامتصاص من قبل وسائل الإعلام، التي تلعب الالكترونية من ضمنها، فيها دوراً أساسياً".

ويرى أن الإعلام الرقمي يولّد، انطلاقاً من لا شيء، ميولا واتجاهات وحاجات ومستلزمات جديدة. وتتمثل إحدى المستجدات، في إبراز سعي البشر إلى التواصل في ما بينهم.

وإذا كانت ثورة المعلوماتية والاتصالات قد سهّلت التواصل بين البشر، كما يقول المؤلف، فإنها حوّلت أيضاً، بدرجة كبيرة، من علاقتهم مع المعرفة. ولكنها قلصت كذلك، من حسّ البحث والتفكير لديهم، على خلاف ما فعلته الكتابة، وبعدها المطبعة، اللتان اعتمدتا أساساً، على النص.

بينما أن الثورة الرقمية الجديدة تعتمد بالأحرى على الصورة والصوت، أي بمعنى ما على ما هو عابر ووقتي، على خلاف النص. ثم إن ما هو مكتوب يسمح بتقديم معرفة أكثر ترابطاً فيما بين مكوناتها وأكثر تعقيداً، من ما هو شفهي، كما يلاحظ المؤلف. وبهذا المعنى تقدم شبكة الانترنت كمّاً كبيراً من المعلومات، وكميّة أقل من المعارف.

ويتحدث المؤلف في هذا الكتاب عن ما يسميه: "قوة الجذب الشيطانية"، التي تملكها الانترنت ووسائل الإعلام التي أنتجتها ثورة المعلوماتية. ولا يتردد في القول: إن "الأدوات الرقمية" تمارس نوعاً من السحر، وصولاً إلى ما يقارب فقدان الإرادة.

ومن السمات الهامة في شبكة الانترنت، أنها تشجع على "ديمقراطية المعرفة". وفي المحصلة يصل المؤلف إلى نتيجة مفادها، أن الانترنت لا تجعلنا أقل ذكاء، ولكن تدفعنا إلى استخدام ذكائنا بطريقة سيئة.

المؤلف في سطور

رافاييل سيمون، باحث إيطالي متخصص في اللغات. يعمل أستاذاً في جامعة روما، سبق له أن قدّم العديد من الأعمال التي عرفت الترجمة إلى معظم اللغات الحيّة. وفي عدادها: "الوحش اللطيف".

تأليف: رافاييل سيمون - الناشر: غاليمار - باريس- 2012 - الصفحات: 272 صفحة - القطع: المتوسط